

شرح

# رَايَضُ الصَّالِحِينَ

تأليف

الإمام أبي نزيعة يحيى بن شرف النووي النمشقي

٦٢١ - ٦٧٦ هـ

الشيخ

أبو عبد الله بن أبي السَّيِّحِ مُقْبِلِ بْنِ قَائِدِ اللُّوْلُوعِيِّ

خطها الله تعالى



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### □ أسئلة وأجوبة الدرس (١٢) □

١. عمران بن حصين ما كنيته؟

أبو نجيد.

٢. (حبل) منصرف أو غير منصرف؟

غير منصرف؛ لألف التانيث المقصورة.

٣. ما حد الزاني؟

إذا كان محصناً يرجم حتى الموت، وإذا كان غير محصن جلد مائة وتغريب عام.

٤. من هو صاحب المكس؟

أصحاب الضرائب والجمارك.

٥. ما إعراب: مهلاً؟

مفعول مطلق<sup>(١)</sup>، نظير (مرحباً).

٦. هل الأصل أن الأم ترضع ولدها اللبن الطبيعي (حليب الأم) أم الصناعي؟

الأصل هو الحليب الطبيعي، قال تعالى: ﴿وَالْوِلْدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ<sup>٢</sup> لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ<sup>٣</sup>﴾.

٧. لو منعت الأم لبنها عمدًا - من غير عذر صحي - وهو ما يسمى باللبأ؟

(١) ومنه ما جاء في معلقة امرئ القيس:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل... وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجلي

تكون آثمة كما يدل له نهش الحيات ثدي بعض النساء؛ ولهذا يقول الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١/٦٣٤) عن المطلقة إذا وضعت: وَلَكِنْ لَيْسَ لَهَا دَفْعُهُ - دفع المولود - إِذَا وَلَدَتْهُ حَتَّى تَسْقِيَهُ اللَّبَأَ الَّذِي لَا يَعِيشُ بِدُونِ تَنَاوُلِهِ غَالِبًا.

#### ٨. بأي شيء يثبت الزنا؟

باعتراف الزاني، أو بأربعة شهود.

#### ٩. هل يثبت بالحبيل ماذا قال أهل العلم؟

فيه قولان: أن الحد يثبت بالحبيل إذا كانت المرأة حاملاً ولم يكن لها زوج ولا سيد ولم تكن هناك شبهة، وهو قول عمر ومالك. وأما الجمهور فعلى أنه لا يثبت بالحبيل؛ لأنه فيه هلاك النفوس، واستدلوا بالأدلة الواردة في درء الحدود بالشبهات.

#### ١٠. ما السبب في الوصية ولي المرأة الجهنية بالإحسان إليها؟

قال النووي رحمته الله في «شرح صحيح مسلم» (١٦٩٦): هَذَا الْإِحْسَانُ لَهُ سَبَبَانِ: أَحَدُهُمَا: الْخَوْفُ عَلَيْهَا مِنْ أَقَارِبِهَا، أَنْ تَحْمِلَهُمُ الْغَيْرَةُ وَالْحَقُوقُ الْعَارِيَّةُ أَنْ يُؤْذَوْهَا، فَأَوْصَى بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهَا؛ تَحْذِيرًا لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ. وَالثَّانِي: أَمْرٌ بِهِ رَحْمَةٌ لَهَا؛ إِذْ قَدْ تَابَتْ، وَحَرَصَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَيْهَا؛ لِمَا فِي نَفُوسِ النَّاسِ مِنَ الثُّقَرَةِ مِنْ مِثْلِهَا، وَإِسْمَاعِهَا الْكَلَامَ الْمُؤْذِي وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَتَهَيَّ عَنْ هَذَا كُلِّهِ اهـ.

#### ١١. ما حكم إجهاض الجنين بعد نفخ الروح فيه؟

لا يجوز إجهاض الجنين بعد نفخ الروح فيه، إلا بشهادة بعض المؤتمنين من الأطباء: أن بقاء هذا الجنين يسبب تلف الأم، أو الإضرار بها بما لا تطيق. فهذه المرأة أُخِّرَ حدها حتى توضع حملها.

١٢. ما السبب أن ابن آدم لو كان له واد من ذهب لأحب أن يكون له آخر، وثالث..؟  
لأنه مجبول على حب الدنيا والحرص عليها.

١٣. ما معنى قول النبي ﷺ: (وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ)؟

أي: لا ينتهي حرص ابن آدم على الدنيا، حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره.

١٤. هذه الجملة في حديث أبي موسى رضي الله عنه: «وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ» هل لها تعلق بها قبلها؟

قال النووي: وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِمَا قَبْلَهُ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنَ الْحَرَصِ الْمَذْمُومِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَذْمُومَاتِ.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الدرس (١٣)

قال أبو زكريا يحيى بن شرف النووي رحمته الله:

#### ٣- باب الصبر

إعراب: (باب) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذا باب الصبر، ويجوز أن يكون مبتدأ والخبر محذوف، وأن يكون مفعولاً به لفعل محذوف، والأول أجودها. وباب مضاف، و(الصبر) مضاف إليه مجرور بالمضاف وعلامة جره الكسرة.

الباب لغة: ما يدخل ويخرج منه.

واصطلاحاً: اسم لجملة متناسبة من العلم.

الصبر لغة: الحبس، ومنه: قُتل فلان صبراً، ومنه أيضاً عن أنس: «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ» رواه البخاري (٥٥١٣)، ومسلم (١٩٥٦) أي: تحبس.

واصطلاحاً: حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن المعصية.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]

(قَالَ اللَّهُ) جمهور أهل العلم أنه لا يكره قول: (يقول الله تَعَالَى)، وهناك قول آخر عن

مطرف بن عبد الله الشخير كان يكره أن يقال: يقول الله تَعَالَى، وإنما يؤتى بلفظ: قال الله

تَعَالَى.

(تَعَالَى) أي: له العلو المطلق من كل الوجوه سُبحَانَهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ الآية بتمامها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وهذه الآية وما بعدها في الباب في الحث على الصبر.

وفيها أيضًا من الفوائد:

اقتران التقوى بالصبر، كما في آخر الآية، وكقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]، وكل موضع قرن فيه التقوى والصبر اشتمل على ثلاثة أمور: فعل المأمور، وترك المحذور، والصبر على المقدور. يراجع «عدة الصابرين» (٣١) لابن القيم رحمته الله.

وقد تكرر الصبر في القرآن كثيرًا، قال ابن القيم رحمته الله في «مدارج السالكين» (١٥١/٢): وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي الْقُرْآنِ عَلَى سِتَّةِ عَشَرَ نَوْعًا. اهـ.

والقرآن في مواضع جاء الحث فيه على الصبر على وجه العموم، وجاء فيه الصبر على وجه الخصوص على بعض الأمور، فقد يكون عامًا وقد يكون خاصًا. قد يكون عامًا قوله تَعَالَى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ٧]، وقوله تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨] هذا عام.

وقد يكون خاصًا ببعض الأعمال، يخص الله تعالى ذكرها للتنبيه عليها، ولأهميتها:

كالصبر على العبادة، قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

الصبر على الصلاة: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

الصبر على التوبة من الذنوب، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ﴾ [١١٤] وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ [١١٥] ﴿ [هود: ١١٤-١١٥]، ذكر الله ﷻ إقام الصلاة ومحو السيئة بالحسنة، وهذا من التوبة، ثم قال ﷻ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ﴾ [١١٤] وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ [١١٥] ﴿ [هود: ١١٤-١١٥].

الصبر على مجالسة الصالحين الزهاد، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، حث ﷻ على مجالسة هؤلاء؛ لما في مجالستهم من المنافع الدنيوية والأخروية، والثبات، والتشيت، وزيادة الإيمان.

الصبر على البأساء والضراء، قال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾

**أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾** [البقرة: ١٧٧]، البأساء: الفقر، إذا ابتلي بالفقر صبر عليه، ولا يذهب إلى المكاسب المحرمة، أو يجزع ويتسخط، والضراء: كالأمرض والمحن، وحين البأس: وهو القتال، كما روى النسائي في «السنن الكبرى» (٨٥٨٥) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَذْنَى إِلَى الْقَوْمِ مِنْهُ».

الصبر على المصائب والآلام، قال تعالى: **﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾** [الحج: ٣٥].

الصبر على عدم الانتصار للنفس ومقابلة السيئة بالسيئة، قال تعالى: **﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾** [فصلت: ٣٥]

الصبر على العلم وتحصيله، قال تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾** [السجدة: ٢٤].

الحث على المصابرة والمرابطة:

قال السعدي في «تفسيره» (١٦٢): والمصابرة أي: الملازمة والاستمرار على ذلك، على الدوام، ومقاومة الأعداء في جميع الأحوال.

والمرابطة: وهي لزوم المحل الذي يخاف من وصول العدو منه، وأن يراقبوا أعداءهم، ويمنعوهم من الوصول إلى مقاصدهم، **﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾**: يفوزون بالمحسوب الديني والدنيوي والأخروي، وينجون من المكروه كذلك. اهـ.

وقد يطلق على من ينتظر العبادة أنه مرابط، كما روى الإمام مسلم (٢٥١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ».

وفيه: الحث على تقوى الله تعالى.

والتقوى: أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية بفعل الأوامر وترك النواهي.

وفي هذه الآية: أن هذه الخصال الأربع: الصبر، والمصابرة، والمراقبة، والتقوى، من أسباب الفلاح، علق الله تعالى الفلاح على هذه الأربعة الأمور، فلا يمكن أن يكون مفلحاً إلا بها. **الفلاح:** نيل المطلوب والسلامة من المرهوب. كما قال الحافظ ابن كثير في تفسير سورة النور.

و(لعل) في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ تعليلية بمعنى (كي).

وهنا فائدة عن (لعل) التي بمعنى (كي):

في «شرح كتاب سيويه» (٢/٢٢٣) لابن المرزبان - وهو يتكلم على أدوات التعليل -: وكذلك ما جاء في القرآن من (لعل) قد جعل بمعنى (كي)، كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ [الحج: ٧٧].

قال: ونظائر ذلك مما أتى فيه (لعل) بعد أمرٍ أمر به، إنما هو على معنى (كي) يكون ذلك.

وقال ابن القيم في «شفاء العليل» (١٩٦): التعليل بلعل، وهي في كلام الله ﷻ للتعليل مجردة عن معنى الترجي؛ فإنها إنما يقارنها معنى الترجي إذا كانت من المخلوق، وأما في حق من لا يصح عليه الترجي فهي للتعليل المحض، كقوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، فقل: هو تعليل لقوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾، وقيل: تعليل لقوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾، والصواب أنه تعليل للأمرين لشرعه وخلقه. اهـ المراد.

وقال الشيخ ابن عثيمين في «شرح رياض الصالحين» (١٦٣/٥): وكلما جاءتك (لعل) في كتاب الله فهي للتعليل؛ لأن الرجاء إنما يكون في شأن من يتعسر عليه الأمر، وأما الرب ﷻ فكل شيء يسير عليه، فإذا وجدت (لعل) في القرآن فهي للتعليل. اهـ.

الآية التي تليها:

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ الابتلاء الاختبار، وهذه خمسة من الابتلاءات أكد الله سبحانه وقوعها بثلاث مؤكدات: حرف القسم وهو الواو، واللام الواقعة في جواب القسم، ونون التوكيد الثقيلة.

{بشيء} هل هذا للتكثير أو للتقليل؟

قال الشوكاني رحمه الله في «فتح القدير» (١/ ١٨٤): وَتَنْكِيرُ شَيْءٍ: لِلتَّقْلِيلِ، أَي: بِشَيْءٍ قَلِيلٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ.

ثم شرح رحمه الله هذه الابتلاءات الخمس، وقال: وَالْمُرَادُ بِالْخَوْفِ: مَا يَحْصُلُ لِمَنْ يَخْشَى مِنْ نَزُولِ ضَرَرٍ بِهِ مِنْ عَدُوٍّ أَوْ غَيْرِهِ. اهـ.

(مِنْ عَدُوٍّ) إنسي أو جني.

(أَوْ غَيْرِهِ) كالخوف من الأوبئة، فقد ينزل الله ﷻ أوبئة على الناس كوباء الطاعون.

قال: وَبِالْجُوعِ: الْمَجَاعَةُ الَّتِي تَحْصُلُ عِنْدَ الْجَدْبِ وَالْقَحْطِ. وَبِنَقْصِ الْأَمْوَالِ: مَا يَحْدُثُ فِيهَا بِسَبَبِ الْجَوَائِحِ وَمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الزَّكَاةِ وَنَحْوِهَا.

(الْجَوَائِحِ) الآفات، قد ينزل مطر، أو ينزل برد شديد على الأشجار فيؤثر فيها.

قال: وَبِنَقْصِ الْأَنْفُسِ: الْمَوْتُ وَالْقَتْلُ فِي الْجِهَادِ.

أيضاً انتشار الأمراض والأوبئة الفتاكة كالطاعون، فقد تأتي سنوات ينزل فيها أوبئة فيموت فيها أعداد، وتموت أسر عن آخرهم.

قال: وَبِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ: مَا يُصِيبُهَا مِنَ الْآفَاتِ، وَهُوَ مِنْ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ لِشُمُولِ الْأَمْوَالِ لِلثَّمَرَاتِ وَغَيْرِهَا - وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ: مَوْتُ الْأَوْلَادِ. اهـ.

يعني: الأموال أعم، والثمرات من ضمن الأموال، فيكون هذا من عطف الخاص على العام.

(وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ: مَوْتُ الْأَوْلَادِ) وهذا خلاف ظاهر الآية، وأن المراد ثمر الأشجار.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ بدأ سُبْحَانَهُ بالخوف قبل الجوع؛ لأنه أعظم من الجوع، والجوع عرفه الشيخ ابن عثيمين رحمته الله في «سورة البقرة» عند هذه الآية، وقال: هو خلو البطن من الطعام مع شدة اشتهاؤه؛ وهو ضد «الشُّبع».

ثم ذكر أسباب الجوع، وقال: السبب الأول: قلة الطعام؛ والسبب الثاني: قلة المال الذي يحصل به الطعام؛ والسبب الثالث: أن يصاب الإنسان بمرض يمنعه من الطعام إما لقلة الشهية؛ وإما للعجز عن استساغته؛ لسدِّد في الحلق، أو قروح في المعدة، أو غير ذلك.

ثم قال رحمته الله: والجوع لا يدرك أثره إلا من جربه؛ بل كل المصائب لا يدرك أثرها إلا من جربها؛ أما من لم يجرب فإنه لا يشعر بآثار المصائب؛ ولهذا قيل: وبضدها تتبين الأشياء.

ويذكرني هذا ما كان يذكر والدي رحمته الله في حث الطالب على الزهد وأنه في نعمة، فذلك المترف يكون أمامه الطعام الشهي، يقدِّم له الكبد، الفاكهة الشهية، ولا يستسيغ ذلك، فينظر إليه وهو يشتهي، بينما ذلك الفقير يكون بصحته ويأكل من طعامه المتواضع، ويجد له لذة وشهية، ربما خبز مع اللبن ويجد له ذوقاً؛ لما عنده من الصحة، والله يعوض سُبْحَانَهُ، فالله يعوض الفقراء خاصة من كان عنده إيمان وقناعة، يكون راحته أكمل من المترفين، فإذا أخذ الله شيئاً عوض بغيره، عدل الله سُبْحَانَهُ يقتضي ذلك!

هذه الابتلاءات من أشد ما يجلبها الذنوب، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا

**كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ [الشورى: ٣٠].**

أيضاً فقد البلد ولي أمرها؛ فإن هذا سبيل الفوضى وزعزعة الأمن، والقتل والقتال، والرعب، وتسلط القوي على الضعيف، والنهب، والسرقة، وقطع الطرق، ونعش الذين يعثون في الأرض فساداً؛ ولهذا قرن الله ﷺ طاعة ولي الأمر بطاعته وطاعة رسوله فقال:

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].**

وحدث النبي ﷺ على السمع والطاعة في أحاديث كثيرة ومنها حديث عبادة بن الصامت قال: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمُنْشَطِ وَالْمُكْرِهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَنْ لَا تُنَازَعَ الْأَمْرَ أَهْلُهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً» رواه مسلم (١٧٠٩).

وجعل طاعته من الطاعة له ومعصيته من معصيته، روى البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي».

وجعل الافتئات على ولي الأمر، وشق صف المسلمين واجتماع كلمتهم على إمام واحد العقوبة فيه، وهو القتل، روى مسلم (١٨٥٢) عَنْ عَرْفَجَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،

يَقُولُ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ».

وفي هذه الآية من الفوائد:

البشارة لأهل الصبر.

ومما بشرهم الله ﷻ به:

الخير والمغفرة والأجر الكبير، فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ١١]، والجزاء بغير حساب كما سيأتي في بعض الأدلة.

وبشرهم بالجنة، قال تعالى: ﴿وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]، وقال تعالى: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]، في بشارات أخرى كثيرة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

﴿يُوفَّى﴾ أي: يُجَازَى، وهذا يتكرر في القرآن الجزاء بهذا اللفظ، كقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ

إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ [آل عمران: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، والأجر الثواب.

وفي هذه الآية: أن أجر الصبر ليس محدودًا بعدد، الحسنة بعشر أمثالها، قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، لكن الصبر الله أعلم بمقدار أجره، وهذا يفيد الحث الأكيد على الصبر.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

عزم الأمور تكررت في ثلاثة مواضع من القرآن:

في سورة آل عمران، وفي سورة لقمان، وهنا في سورة الشورى، لكن بزيادة اللام في سورة الشورى وحدها.

واللام في أول الآية وفي آخرها هذه من الأدوات التي يحتاج إلى معرفتها الطالب، فاللام الأولى اللام واقعة في جواب قسم محذوف، والثانية لام المرحلة، وهي التي تكون في خبر (إن).

﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ صبر على الأذى والظلم.

﴿وَعَفَرَ﴾ سامح ولم يتتصر لنفسه، وهذا هو العفو، والله سبحانه ذكر العفو من صفاته: ﴿إِن تَبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُنَفُّوهُ عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]، عفو مع القدرة؛ لهذا جمع الله في هذين الاسمين؛ لأنه قد يعفو عن عجز عن الانتصار والانتقام، لكن الله يعفو عن قدرة، لا يعجزه شيء سبحانه.

وفي هذه الآية: الحث على العفو والمغفرة عن المسيء، مع أنه يجوز له مجازاة السيئة بالسيئة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، فيجوز له، والصبر أفضل مع بعض الضوابط: أنه إذا كان العفو عنه يجرئه على التماذي في الظلم، فإنه لا يعفو عنه؛ حتى لا يعان على الظلم ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وبفضل الله تقدم معنا هذا بأوسع مما هنا في «شرح العقيدة الواسطية».

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ المشار إليه الصبر والمغفرة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وفيه حذف تقديره: إن ذلك منه لمن عزم الأمور، نظير قوله: السمن منوان بدرهم، أي: منوان منه. يراجع «اللباب

في علل البناء والإعراب» (١/١٣٩).

واحتيج للتقدير لأن جملة (إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) خبر المبتدأ، وهو (من) الموصولة. والخبر إذا كان جملة يحتاج إلى رابط يربطه بالمبتدأ، إلا إذا كان عين المبتدأ كما هو مذكور في باب المبتدأ والخبر.

وفيه: أن الصبر من عزائم الأمور.

وأنه لا يقوم بالصبر إلا أهل العزائم والهمم العالية؛ لأنه من أشق الأمور على النفس، مثل: كظم الغيظ، العفو، الحلم، عدم الانتصار للنفس، فكان هذا من أخلاق أهل العزائم والهمم.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٣)

[البقرة: ١٥٣].

فيه: الحث على الاستعانة بالصبر والصلاة في أمور الدين والدنيا، فبهاتين العبادتين يصل إلى مطلوبه بتوفيق الله، سواء في أمور دينه أو أمور دنياه.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٣) المعية هنا: معية خاصة.

معية الله على قسمين:

عامة لجميع الخلق، أي: أن الله معنا بسمعه وبصره وعلمه وقدرته، ومنه قوله تَعَالَى:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧].

ومعينة خاصة، وهذه تقتضي النصرة والحفظ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٦٦﴾﴾.

والمعينة العامة صفة ذاتية.

وأما المعينة الخاصة فهي من الصفات الفعلية.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد: ٣١]، والآيات في الأمر بالصبر وبيان فضله كثيرة معروفة.

(حتى) هنا حرف جر وتعليل، بمعنى: (كي).

يعني هنا لماذا حصل الابتلاء؟ من أجل أن يعلم الله ﷻ المجاهدين والصابرين.

والعلم هنا علم رؤية وعلم ظهور، وترتب ثواب في حق المطيع وعقاب في حق

العاصي، قال ابن القيم رحمته الله في «زاد المعاد» (٣ / ٢٠٠) - في سياق الحكم التي كانت في غزوة أحد-، قال: ثُمَّ ذَكَرَ حِكْمَةً أُخْرَى، وَهِيَ أَنَّ يَتَمَيَّزَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَيَعْلَمُهُمْ عِلْمَ رُؤْيَا وَمُشَاهَدَةٍ بَعْدَ أَنْ كَانُوا مَعْلُومِينَ فِي غَيْبِهِ، وَذَلِكَ الْعِلْمُ الْغَيْبِيُّ لَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ ثَوَابٌ وَلَا عِقَابٌ، وَإِنَّمَا يَتَرْتَّبُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ عَلَى الْمَعْلُومِ إِذَا صَارَ مُشَاهَدًا وَاقِعًا فِي الْحِسِّ. اهـ.

ومر معنا شيء في هذا في أكثر من درس.